يصغي إلى أحاديثهم عن السياحة والتجارة والشعوب التي شاهدوها ، والأقطار التي قصدوها .

نشأ في أسرة عُرفت بالفضل والعلم والتقوى والنزاهة وحماية الذمار . تربّى في بيئة صالحة ، وتلقى أول ما تلقى دروسه عن أبويه ، وهذه هي عادة الأسرة أن تلقّن أبناءها في طفولتهم مبادىء العلوم والأخلاق الفاضلة والخط ، ثم إلى أساتذة آخرين . ومن اللافت للنظر أنهم قد يأخذون عن أساتذة من مذاهب أخرى ، وبذلك تتوسع مداركهم ومعارفهم وتتفتق أذهانهم ، كما يأخذ عنهم أرباب المذاهب .

كان السيد أحمد المهاجر يتلقى العلم عن أساتذته ، ويرحل لطلبه ، ثم لنشره ، ويجتمع برجال الأدب والعلماء بالبصرة وغيرها من مدن العـــراق .

نتصوره في لبسه العراقية ، سروال فضفاض ودرّاعة أو جبّة وعمامة ، وسلاح على جنبه في رحلاته لطلب العلم ومثافنة العلماء أو مراسلتهم .

ندْرك اذن كان يطوف بذهنه ، وانطبع في فكره . ألم يكن ذلك من دواعي تكوين النفسيات المهذبة ، والسمو الروحي . يرى السفن الكثيرة الراسية فينزل بها المسافرون من شتى الأقطار ومعهم محصولات بلدانهم وبضائعها . وتأتي القوافل والسفن بالدقيق من أقاصي الشمال والغرب . أجناس شتّى وألْسنٌ مختلفة ، وألوان متباينة .

هذا هو الجو والمدينة التي نشأ فيها ، الزاخرة بكل شيء ، الحافلة بالثروات ، المعة لصنوف الصناعات ، الغاصة ببائعي الصحف والأسفار ، والمشتغلين بالليف والنسخ والترجمة في السلم والأمن « بل ان البصرة كانت مركزاً فكرياً عظيماً ، وفيها اصطرعت شتى الفلسفات والمعتقدات والآراء » (ثورة الزنج ، ص ٣٢) .